أثر الإعلام والفكر في مواجهة الفكر العبيدي في عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ /١١٦٩ -١١٩٣م)

د. صالح بن محمد الربعي
drsaleh991@gmail.com

ملخص البحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد

هذا بحث تاريخي تحليلي بعنوان:

أثر الإعلام والفكر في مواجهة الفكر العبيدي في عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ/ ١١٦٩ -١١٩٣م)

تطرقت فيه للدعاية السياسية عبر العصور التاريخية، والدعاية في العصر العبيدي، وصلاح الدين والرؤية الدعائية لدولته، والجهود التي بذلها في تثبيت دولته على أنقاظ الدولة العبيدية، ويستعرض البحث السياسة التي رسمها صلاح الدين في مقاومة النظام العبيدي، ورؤيته في البناء الفكري للمجتمع المسلم، حينما عمد لإقامة المدارس والمساجد، والاهتمام بالعلم والتعليم، وإحياء المساجد، وتعيين القضاة والعلماء في نشر المذهب السني المضاد للمذهب الإسماعيلي العبيدي، وتشجيع العلم والعلماء، ومنه الرفع من شأن الفقهاء والاستعانة بهم، وكذلك إعادة الولاء للخلافة العباسية من جديد، واعتماد الإعلام سياسة في إقامة دولته والحفاظ عليها من الأعداء في الداخل والخارج، وختم البحث ببعض النتائج.

الكلمات المفتاحية:

الإعلام- العصر العبيدي- صلاح الدين الأيوبي.

In the Name of Allah, The Most Merciful, The Most Compassionate
Praise to Allah and prayers and peace upon our prophet Mohamed
This is historical analytical research entitled:
The impact of media and thought to confront Obeidi thought during the reign of Salah-Aldain (564-589H/ 1169-1193G)

I discussed the political propaganda over the historical eras, propaganda in the Obeidi era, Salah-Aldain and the propaganda vision of his state, and his efforts exerted in stabilizing his state on the ruins of the Obeidi state. The research reviews the policy set by Salah al-Dain to resist the Obeidi regime, and his vision in the intellectual construction of the Muslim community. He insist to establish schools and mosques, paid attention to science and education, and the revival of mosques, and appoint judges and scholars in the dissemination of Sunni doctrine anti-Ismaili Obeidi. Furthermore, encourage science and scholars, including raising the value of the scholars and seek help from them, as well as re-loyalty to the Abbasid Caliphate again. Moreover, the media has adopted a policy to establish his state and save it from the enemies at home and abroad. Finally, the research has concluded some findings.

key words:
Media - the Obeidi era - Salah al-Din Ayyubi.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

وبعد ...

إن قيام الدول حقيقة، يجب أن يرتكز على أركان الدولة العلمية في مجالاتها المختلفة لا على شعب أو جنس بعينه، ولا شك أن لعصر الدولة الأيوبية أهمية بارزة، كونه يمثل الحقبة التي عاصرت أخطر عدو للمنطقة العربية والإسلامية، وعلى رأسها بلاد الشام و مصر وشيء من الجزيرة العربية؛ لذا استشعر وفطن السلطان الناصر صلاح الدين الأحوال المحيطة به، وأنه ورث بيئة طالها الفساد والتخريب عبر سنين طوال، وأنها تحتاج رؤية واستراتيجية تتصف بالقوة والمنعة، وذلك وفق قنوات تبني إنساناً ومجتمعاً يعتز بِقِيَمِهِ ومبادئه، ويثق بالسلطة ويلتف حولها؛ لذا عمد لإعادة المبادئ الإسلامية السوية، واتخذ من عقلاء وحكماء الرجال أعمدةً لدولته علماً وعملاً و إعلاما؛ ليحمي دولته، ويقف أمام عدو جبار يتمثل بالخطر الصليبي، والأيادي الظاهرة والخفية التي ما فتأت تعمل على الهدم والتخريب وإضعاف دولة الإسلام، فبنى دولته على أسس فكرية سليمة، ثم انطلق بشعيرة الجهاد ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام، بعد أن عمد للتقارب بين مصر والشام، وبث فيهما النهضة الفكرية، واعتمد القلم والفكر في تدبير دولته في السياسة الداخلية والعلاقات الخارجية سلماً وحرباً،،،

الإعلام والفكر في تثبيت دولة الناصر صلاح الدين الأيوبي:

تعد العلاقة الوثيقة بين الإعلام وإرساء دعائم الكثير من الكيانات السياسية واستمرارها في الدولة الحديثة من الأمور الملزمة بل والرئيسة، سواءٌ بالخبرة التاريخية أو من خلال التطبيق العملي، خاصة مع تطور وسائلها وتنوع رسائلها وأهدافها وتنظيماتها بشكل مؤسسي، فقد أسست بمرور الزمن كفن من الفنون العلمية واستقلت بعلومها السياسية، وأصبح للإعلام اتجاهات

وتنوع وسبل؛ من أجل تطويرها كهدفٍ عامٍ للحفاظ على الدول من العدوان عليها خارجياً بل وتسيير المقومات الوطنية والمجتمع نحو خدمة التوجه السياسي للدولة.

ولبث منهجها للدعاية حول سياسة الدولة بوجه عام، إضافةً إلى تحصين الجبهة الداخلية من تأثرها بمؤثرات خارجية تضعف من قوتها أو تزعزع أمنَها واستقرارَها السياسي والفكري، فضلاً عن التحصين من المؤثرات القاتلة لمجتمعاتها سواءٌ كانت فكريةً أو اقتصاديةً أو اجتماعيةً أو صحيةً أو غيرَها، ولا ننسى الدور الإعلامي والدعائي الرامي لتغيير المظاهر الاجتماعية والعادات والتقاليد وتفكيك الروابط الاجتماعية حسب ما تقتضيه المرحلة والظروف الدولية وغيرها.

والناظر في صفحاتِ تاريخِ العصورِ السابقةِ لا شك أنه لا يتبين له وجود مثل هذه النظم "الدعاية والإعلان" صراحةً في الدولة الإسلامية، بيد أن المتفحص لتاريخ الدولة الإسلامية يلمس ذلك في السياسية والعلاقات الخارجية وتدبير الدولة، وهذه المواضيع غالباً لم يُلقَ عليها الضوء على وجه التحديد كأحد توجهاتها الرئيسة في الحفاظ على أمنها واستقرارها وأمن جبهتها الداخلية والخارجية.

وكمحاولةٍ لتناول هذا الموضوع بالتحليل العلمي التاريخي، من خلال توظيف بعض النصوص المتناثرة بين بطون الكتب، وقد وقع الاختيار على مسألة:

(أثر الإعلام والفكر في مواجهة الفكر العبيدي في عهد صلاح الدين الأيوبي) (٥٦٤-٥٨٩هـ /١١٦٩ -١١٩٣م)
لعوامل عدة منها:

التأثير الكبير للدولة الأيوبية ومؤسسها صلاح الدين الأيوبي في مسار التاريخ الإسلامي، الذي قاد فترة نهوض بعد زمن من الانكسارات، وشدة الوطأة على الإسلام وأهله من ضعف خلفاء بني العباس، وسيطرة بعض

الفرق المنحرفة على السلطة، والتي اتخذت من الإسلامِ ومبادئِه سبيلاً للإضرار بالأمة، وتسطيح المجتمع الإسلامي، وإشغاله بالخرافاتِ التي أضعفت وبشكل شديد الوعي الديني والنظم الحضارية لديه، ناهيك عن كم كبير من المخاطر والصعوبات التي واجهت تلك الدولة حتى تحقق ما كانت تصبو إليه، ثمت أمر آخر وهو الظروف التي يسرت لصلاح الدين إقامة دولته الداخلية منها والخارجية، فضلاً عن أن الناصر صلاح الدين صرَّح بنفسة أن لمستشاره القاضي الفاضل وبقلمه الدور الأعظم في قيام دولته.

لم يكن لدى صلاح الدين . رحمه الله . القدرة على مواجهة الدولة العبيدية(٢٩٧هـ/ ٩٠٨م -٥٦٧هـ/ ١١٧١م) بجهازها الإعلامي القائم على التجهيل والتخلف، والظلم الذي غشى على بلدان العالم الإسلامي ضارباً بأطنابه ردحاً من الزمن، والذي اتخذ من التوجهات العنصرية، والتعصب المذهبي والقتل والتشريد مبدأ يسير عليه لو لم يكن يملك استراتيجيةً ورؤيةً بديلةً ومتكاملةً لتقويضِها، بل وإحلال جهازاً إعلامياً دعائياً قوياً قادراً على إدارة الصراع وتدعيم دولته الناشئة.

الإطار الزمني: تشمل الدراسة عرض لدور الإعلام في تثبيت دعائم وتأسيس الدولة الأيوبية بداية من عام ٥٦٤هـ -١١٦٩ م إلى عام ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م إذ تمثل تلك الفترة علامة محورية هام في تاريخ العصور الوسطى وتاريخ الشرق الإسلامي ،حيث بدأت من وصول صلاح الدين إلى مصر مع أخر حملات نور الدين محمود بقيادة أسد الدين شركوة حتى وفاة صلاح الدين، حيث تمثلت في تأسيس كيان إسلامي تمثل في توحيد الجبهة الإسلامية على يد صلاح الدين لمواجهة المخاطر التي كانت تحدق بالعالم الإسلامي وعلى رأسها خطر الصليبيين

إذاً ما مكونات هذا الجهاز الإعلامي؟ وكيف استطاع في تلك المدة القصيرة تكوينه؟ وما هي الأسس التي عمل عليها؟ استفسارات سنحاول الإجابة عنها بالاعتماد على منهج الاستقراء والاستدلال وتحليل المضمون

للنصوص التاريخية التي أشارت إلى اهتمام صلاح الدين بهذا الدور الهام، واستخدامه له من أجل تثبيت دولته.

المبحث الأول

الدعاية السياسية عبر العصور التاريخية

يمكن القول أن أي كيان سياسي يشتمل على جانبين رئيسين، مادي وفكري، والمادي يشمل إمكاناتها الاقتصادية والسكانية والعسكرية، أما الفكري فيشمل الإطار الثقافي الجامع لها، والمذهب الديني، ورؤيتها لذاتها وللعالم، وكلاهما ضروريين في ثبات الدولة واستمرارها، وتقع الدعاية السياسية في قلب الجانب الفكري، الذي يحافظ على تثبيت الدولة بالمحافظة على مقوماتها ومبادئها الفكرية، والروابط الاجتماعية والالتفاف واللحمة، ومقاومتها لأي عدوان عليها، فضلاً عن كون هذا الكيان أو ذاك ربما اعتمد التعامل مع الرعايا بشيء من الدروشة الدينية، التي تعصف بالمجتمعات وتعتمد هذا المبدأ في بث التفلُّت المجتمعي حتى يتم لها التمكين والقيام على أنقاض نظام وكيان سابق، كما هو سلوك الدول المنحرفة عقدياً والتي تتخذ من الدين ستاراً لها.

المطلب الأول

الدعاية السياسية في العصور الوسطى

ولعلنا نشير إلى شيءٍ من التأصيل فيما يتعلق بألفاظ الدعاية في اللغة: فهي مثل الدعاء إلى الشيء والحث على قصده، وكلمة الدعاية مشتقة من الفعل دعا، يدعو، دعايةً، بمعني الاستمالة والترغيب والتحبيب والحث ونشر القيم والمبادئ(١).

والدعاوة: "مصدر" وهي نشر الدعوة إلى شيء، وهي الدعاية أيضًا، وهذه اشتهرت كثيرًا عند المتأخرين أهل العصر(٢).

ومنه المنهج أو طريقة لخلق اتِّجاه مشايع أو معادٍ نحو سلعة أو فكرة أو مذهب بالكتابة أو الإعلان أو الخطابة أو نحوِها "دِعاية انتخابيّة أو وسائل الدِّعاية"(٣)، لذا فكلمة الدعاية تعنى باعتناق فكر واتخاذه مذهباً والدعوة إليه بالرأي أو الكتابة أو الخطابة ونحوهما(٤)، وفي رسالة النبي ﷺ إلى هرقل: "أدعوك بدعاية الإسلام"(٥).

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت، ص٢٨٦؛ إبراهيم إمام: أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة: دار الفكر،١٩٨٥م، ص٢٧

(٢) أحمد رضا: معجم متن اللغة، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩م، ج٣، ص٤٢٠

(٣) أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ج١، ص٧٤٩.

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص٢٨٧.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل: الصحيح، تحقيق، محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٨؛ مسلم بن الحجاج: الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص١٣٩٣.

أما اصطلاحاً، فهناك من يرى أن الدعاية هي محاولة التحكم في اتجاهات الجماعات والتأثير عليها باستخدام الرموز الهامة، وترويجها للتأثير على السلوك الجماهيري [١].

فالدعاية هي: المحاولة المقصودة التي يقوم بها فرد أو جماعة من أجل تشكيل اتجاهات أخرى أو التحكم فيها أو تغييرها عن طريق استخدام وسائل الاتصال.

والهدف من ذلك أن يكون ردة فعل الناس المتعرضين لتأثير الدعاية في أي موقف من المواقف هو نفسه ردة فعل الداعية أو الداعي، وبهذا المعنى لا يختلف وجودها في أي دولة سواءً كانت قديمة أو وسيطة أو حديثة، ولا ريب أننا نجد أن هذا الأمر جليٌّ بشكل أكبر في الدولة الحديثة، التي تمتلك من الإمكانات ما يجعلها أكثر قدرة على توجيه ناصية الاتجاه الفكري، ولما لها من الأجهزة والوزارات والإدارات والتنظيمات المتطورة، والتي تنشغل مهمتها الأولى في توجيه الرأي العام، وحتى تنشئته على مبادئها، بما يجعله مؤمناً بكافة توجهاتها ومدافعاً عن قراراتها وملبياً لنداءاتها في السلم والحرب، وفي الدفاع عنها ضد أي عدوان من قريب أو بعيد، خاصة إذا تزامن هذا مع حضور العدالة في تلبية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والمدنية في بناء الدولة.

والحقيقة أنه لم يختلف هذا الأمر في كافة العصور التاريخية، التي وإن أمَّنت مجالها الفكري من الاختراق، فقد كانت الوسائل أقل تعقيداً وأبسط في تكوينها؛ وتدل آثار الفراعنة في مصر القديمة على اهتمامهم بتدوين أخبار دعائية لهم، ومن اليونان القديمة سمعنا الأساطير عن الأبطال في ملحمة الشاعر اليوناني

(١) عاطف عدلي العبد: الدعاية والإقناع الأسس النظرية والنماذج التطبيقية، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٧م، ج١، ص ١٩.

هوميروس[١]، وكان الفلاسفة اليونان الكبار أمثال أفلاطون وأرسطو قد أولوا اهتماماً كبيراً للدعاية السياسية، فضمَّن أفلاطون في مدينته[٢] تعليمات تفصيلية عما يجب وما لا يجب قوله للمواطنين، وذلك بهدف الحفاظ على ولائهم للنظام وحكامه، كما يعتبر كتابه في الخطابة هو أول كتاب من نوعه عن الدعاية والاستمالة الخطابية[٣].

وذات الأمر قد تم في العصور الوسطى، وفي تاريخ ونظم دول الإسلام على وجه الخصوص، فقد قامت الدولة العباسية(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) على إثر دعاية واسعة النطاق دامت حوالي ثلث قرن تقريباً، فضمت إلى صفوفها كل العناصر المعادية للأمويين ... والتي نظمت تنظيماً دقيقاً باسم الرضى من آل محمد، وتمكنت في النهاية من أن تؤدي الغرض المقصود منها، وهو إسقاط الدولة الأموية(٤١-١٣٢هـ /٦٦١-٧٤٩م) وإقامة الدولة العباسية؛

---

(١) هوميروس: Homeros (بالإنكليزية Homer والفرنسية Homère) شاعر اغريقي شهير وهو كاتب الملحمتين : الإلياذة والأوديسا قام بتخليد حرب طروادة شعرا بدقة متناهية التي يعتقد حدوثها العام ١٢٥٠ ق.م، ويُعد مع هسيودوس ينبوع الشعر الإغريقي وذروته. لمزيد من التفاصيل أنظر(حسن عبد الوهاب: تاريخ اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٠ ، ص ٩٧- ١٠٥).

(٢) مدينة أفلاطون الفاضلة هي من الأحلام التي تمنّى تحقيقها، وحاول تحويلها إلى حلم عامّ عند جميع النّاس، ولكن لم تتمكّن أيٌّ من المُجتمعات الإنسانيّة من تنفيذ هذا الحلم على أرض الواقع منذ عهد أفلاطون حتّى الوقت الحالي؛ بسبب غياب الواقعيّة عن العديد من الأفكار التي طرحها أفلاطون، والتي تُعتبر فقيرةً وغير قادرةٍ على مُحاكاة الفكر البشريّ؛ لأن أفكار أفلاطون ارتبطت مع مفهوم اليوتوبيا، والتي تُشير إلى مصطلح يونانيّ قديم يُعبّر عن فكرة عدم وجود المكان؛ أيّ يستحيل تطبيق مدينة أفلاطون الفاضلة. لمزيد من التفاصيل انظر (ماريا برنيري، سلسلة عالم المعرفة ٢٢٥ – المدينة الفاضلة عبر التاريخ، صفحة ١١، ١٢، ١٣).

(٣) فائز عبد الله مكيد: اساليب الادارة المتقدمة للدعاية الاعلامية الدولية، بغداد: مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، ٢٠١٢م، العدد ٢٩، ص١٧٩.

ثم قامت بعد ذلك دعوة سرية أخرى باسم المهدي المنتظر تمخضت عنها قيام الدولة العبيدية في المغرب [١].

وعلى الجانب الآخر في أوروبا خلال العصور الوسطى، استخدمت استخدمت الدعاية كسلاح هام في الحروب الصليبية فقد " عملت الكنيسة على الكنيسة على الترويج لهذه الحروب والدعاية لها بكل الوسائل المشروعة لديهم، المشروعة لديهم، وغير المشروعة، وكان لها الأثر الأكبر في إقناع نصارى نصارى أوربا بضرورة خوض هذه الحروب، والاستمرار فيها" [٢].

ويمكننا أيضاً الحديث بإطناب تأكيداً على أهمية الموضوع كونه أصبح أمراً لازماً في تكوين الدولة الحديثة بل ورسوخها، ولكن هذا سيخرج عن نطاق البحث؛ لذا سنفضّل التعرض بشيء من التفصيل إلى أحد أهم الدول التي استخدمت الدعاية السياسية في العصور الوسطى، وكانت المهدد الأول لتقويض سياسة صلاح الدين الأيوبي لإقامة دولته، ألا وهي الدولة العبيدية، والتي قامت في الفترة (٢٩٧هـ/ ٩٠٨م –٥٦٧هـ/ ١١٧١م).

❁❁❁❁❁

(١) الدينوري، أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، ط١، ١٩٦٠م، ص٣٣٥؛ مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، بيروت: دار الطليعة،ص٢٥٣؛ الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، بيروت: دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ؛ ج٧، ص٤٩؛ المقريزي، أحمد بن علي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء؛ تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط١ د. ت، ج١، ص٤٠؛ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت: دار النهضة العربية، د. ت، ص ١٧.

(٢) رائد مصطفي عبد الرحيم: وسائل الدعاية الصليبية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، مجلد ١٣، العدد ١، ٢٠١١، ص١٦٢. ؛ أيضا وليم الصوري:الكتاب منشور باللاتينية في الجزء الأول من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية . المؤرخين الغربيين .
Historia Rerumin Partibus Transmarinis Gestarum,R.H.C-Occ,I,pp.1-1134
واعتمد الباحث علي الترجمة العربية للمصدروليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ٤ أجزاء ، ترجمة د. حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٩١– ١٩٩٤م .

المطلب الثاني

الدعاية في العصر العبيدي

يتضح أن الدول في العصور الوسطى وخاصة فترة نشأتها كانت تلجأ إلى تثبيت أركانها عن طريق الدعاية السياسية، وهكذا في كافة الكيانات السياسية، فكان لزاماً على الناصر صلاح الدين ولكي يثبت دولته الناشئة أن يقوم بعمل دعاية مضادةً، تستطيع التغلب على دعاية الدولة العبيدية، لذا فإنه من الضرورة بمكان التعرف في البداية على الدعاية عند الدولة العبيدية كي ندرك قوتها، والأسس التي بنيت عليها هذه الدولة، وكم من الصعوبات التي واجهها صلاح الدين ودولته الناشئة.

بداية يمكن القول إن الدولة العبيدية كانت من أكبر الدول في التاريخ الإسلامي التي اهتمت بالدعاية السياسية، فقد "قامت الدولة العبيدية في بلاد المغرب سنة: (٢٩٦هـ/ ٩٠٨ م)، وكان قيامها أقصى ما نالته الدعاية الإسماعيلية من نجاح في دورها الأول، ولم يحقق قيامها في بلاد المغرب جميع أغراضها، فلم يكن بد إذاً من أن تتزعم هذه الدولة العالم الإسلامي، ولا يمكنها أن تحقق ذلك إلا إذا بذلت جهوداً كبيرة ودماء عزيزة، وقد تبين لعبيد الله، مؤسس الدعوة الإسماعيلية ودولتها، استحالة تحقيق كل آماله بحد السيف وإراقة الدماء؛ ولذلك وجه نشاطه إلى تنظيم الدعاية لمصلحة الدولة، ليغزو العالم الإسلامي بهذه الدعاية، وليكون له في كل صقع من أصقاعه أنصار ومستجيبون، أصبح من أهم ما ترمي إليه الدعوة الإسماعيلية، المحافظة على المذهب الإسماعيلي، ثم مناصرة الدولة العبيدية، وهذا يجعلنا نعتقد أن المذهب الإسماعيلي قد نهض على يد العبيديين نهضة بعيدة كل البعد عن تلك الروح الوثابة التي أوجدها عبدالله ابن ميمون[١] وأبناؤه في جماعة

(١) ميمون بن ديصان المعروف بالقداح, وكان مولى لجعفر الصادق, وكان بالأهواز ومنهم: محمد بن الحسن بدندان, اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان في سجن العراق فأسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية.., ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب, وانتسب في تلك=

الإسماعيلية: فبينما يري العبيديون، وعلى رأسهم عبيد الله المهدي (٢٩٧/٩٠٨م)، استخدام الدعوة الإسماعيلية لمصلحة الدولة.

وهذا من الدعاية بسلوك ديني بحت، وقد كان مؤسسو المذهب الإسماعيلي الأوائل يرون استخدام الدعوة؛ لتكوين دولة تهدف إلى إنهاء العباسيين، وبسط نفوذها على أنقاض دولتهم، وذلك بحمل السيف، وإراقة الدماء، وإذاعة عقائد المذهب الإسماعيلي في صراحة مطلقة.

ومهما يكن من أمر فإن مدارس الدعوة راجت في المهدية [١] قاعدة الدولة العبيدية الناشئة في عهد عبيد الله، ثم راجت في المنصورية[٢] في عهد حفيده المنصور (٣٠٢- ٣٤١هـ/٩١٤-٩٥٣م)، ثم في القاهرة في عهد المعز ومن

=الناحية إلى عقيل بن أبي طالب, وزعم أنه من نسله, فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية, ادعى أنه من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ثم ظهر في دعوته إلى الباطنية رجل يقال له حمدان بن قرمط..., وإليه ينتسب القرامطة." أنظر عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) (الفرق بين الفرق)، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٧م ،ص ٢٦٩.

(١) "المَهْدِيّـةُ": مدينة تونسية تقع شرق مدينة تونس العاصمة، أسسها العبيديون في سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م في عهد عبيدالله المهدي؛ لتكون عاصمة لهم، وتبعد عن مدينة القيروان نحو: (١٠٠) كم إلى الجنوب منها. الإدريسي، محمد بن عبد الله: أنس المهج وروض الفُرَجِ قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، تحقيق، الوافي نوحي، بيروت: دار أبي رقراق، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣٣٦؛ الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م، ج ٥، ص ٢٢٩، و ٢٣١؛ التجاني، محمد بن عبدالله: رحلة التجاني، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م، ص٣٢٠؛ الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٢١٩٨٣م، ج٢، ص٨٥؛ ابن زيدان، عبد الرحمن: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ط١ ،١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، ج٢، ص٧١؛ العفيفي، عبدالحكيم: موسوعة١٠٠٠مدينة إسلامية، بيروت: مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١٤٢١،١هـ/٢٠٠٠م، ص٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) المنصورية : ذكرها ياقوت الحموي باسم المنصورة وهي تقع باللقرب من القيروان نواحي إفريقية بناها المنصور بن القائم بن المهدي الخارج بالمغرب لمزيد من التفاصيل أنظر(ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٢١١) .

جاء بعده من قادة العبيديين؛ وعرفت هذه المدارس في مصر باسم مدارس الحكمة، التي كان لها شأن كبير في نشر الثقافة الإسماعيلية، ومن هذه المدارس كانت دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله (٣٨٦هـ-٩٩٦م/٤١١هـ-١٠٢٠م)، ولم يكن هذا النوع من المدارس مقصوراً على القاهرة، بل تجاوزها إلى أقاليم الدعوة الرئيسة، أو بحارها وجزرها، كما كان يطلق عليها في ذلك الحين، وكانت الدولة العبيدية تهتم في هذه المدارس بتخريج دعاة المذهب الإسماعيلي، وأخذوا ينتشرون في عامة البلاد الإسلامية؛ لينشروا المذهب الإسماعيلي بين الناس، ويكونوا أداة اتصال بين رئاسة الدعوة والدولة وبين أشياعهم الإسماعيليين، وليس معنى ذلك أنه لم تكن ثمةَ مدارس في بداية الدعوة، بل كانت هناك مدارس كثيرة في سلمية [١]، والأهواز [٢]، وغيرهما من نواحي العالم الإسلامي" [٣].

(١)"سَلَمْيَة": قيل: سلمية قرب المؤتفكة، فيقال: إنه لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مائة نفس فنجاهم فانتزحوا إلى سلمية، فعمروها وسكنوها، فسمَّيت: "سلم مائة"، ثم حرف الناس اسمها فقالوا: سلمية، وتسمَّى اليوم "السليمة" جنوب شرق حماة. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤١،٢٤٠؛ أبو حجر، آمنة: موسوعة المدن العربية، عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٩٣؛ أمين، ممدوح: سلمية في خمسين قرنا، دمشق: دار أسامة، ١٩٨٣م، ص٢٣.

(٢) "الأَهْوَاز": جمع هوز، وأصله حوز، وهي من مدن إيران في خوزستان، وتنسب جميع بلاد الخوز الى الأهواز، يقال لها: كور الأهواز، وهي على قريبة من البصرة، وكانت إحدى البلاد المشهورة بالعلماء والأئمة والتجار. السمعاني، عبد الكريم بن محمد: الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي وغيره، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٣٩٥؛ الراجحي، محمد بن سليمان: معجم بلدان العالم الإسلامي في كتاب الأنساب لأبي سعد السمعاني، جمع وتحقيق، الرياض: مطبعة سفير، ط١، ١٤٠٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٧؛ مرزوق الزهراني: نسبة ومنسوب، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٨٢.

(٣) حسن ابراهيم حسن، طه أحمد شرف: عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت، ص ٢٦٠ -٢٦٢.

أما مصر التي اعتبرها العبيديون الجائزة الكبرى، فقد وجهوا إلى المصريين حتى في أيام استتارهم، حتى تم لهم الأمر واستولوا على مصر مصر بفضل جهود المعز لدين الله في الدعاية، فعندما "ولي المعز لدين الله لدين الله الحكم اعتبر أن هذا الواجب يجب أن يكون جزءاً من سياسة الدولة، الدولة، فرسم المنهج وحتم على أتباعه قبوله والعمل به، وخصص المعز لدين المعز لدين الله وقتاً لأخذ العهود على المستجيبين، والداخلين في الدعوة، ولم الدعوة، ولم يكن يرضى أن يقوم غيره بهذه المهمة، ولذلك وفد الناس من من المشرق والمغرب وكثر عدد الأتباع، واقبلوا يقطعون البحار والقفار؛ لنيل والقفار؛ لنيل بركاته وسماع وصاياه، وكان يعنى عناية خاصة بتلقين دعاته دعاته خصائص المذهب الإسماعيلي، وأسراره، أو ما يسمى بعلوم الباطن، الباطن، فأخرج من خزائنه الخاصة الكتب التي ورثها عن آبائه وجعلها في وجعلها في متناول كبار الدعاة." (١).

وقد امتد الأمر أيضاً لبناء المساجد والتي لم يغب الغرض الدعائي عنها، إذ لم يكن الغرض من بناء المساجد في مصر مقصوراً على الأغراض الدينية وحدها، فقد كان بناؤها لأسباب سياسية أيضاً، ومن ثم أصبحت المساجد مركزاً للثقافة الإسلامية، ومثابة لاجتماع العلماء والفقهاء، ومكاناً لإذاعة الأخبار الهامة، ولما كان الغرض الأول الذي كانت ترمي إليه سياسة العبيديين في مصر هو جذب الناس إليهم وإدخالهم في حظيرة مذهبهم، فإنهم لم يألوا جهداً في بث تعاليم هذا المذهب في نفوس المصريين واتخاذهم ذلك وسيلة للوصول إلى أغراضهم السياسية"(٢)، وفق سياسة طويلة المدى بدأت مع

(١) عارف تامر: المعز لدين الله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٩٨٢م، ط١، ص١٩٩.

(٢) علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٥٨.

دخول جوهر الصقلي [١] إلى مصر، إذ تلطف جوهر في إدخال الطقوس الشيعية"[٢]، "فعندما دخل العبيديون مصر ومعهم دعوة جديدة حرصوا على نشرها في البلاد المصرية، وهي الدعوة التي أطلقوا عليها اسم الدعوة الهادئة ودعوة الحق، وكان من مراكز هذه الدعوة إذ ذاك قصر الخلافة من جهة، والجوامع الكبرى التي من أهمها الجامع الأزهر من جهة ثانية" [٣].

ولأهمية الدعوة جعل منصب داعي الدعاة يلي منصب قاضي القضاة، وجهازه يشبه الجهاز القضائي، وله مثله نواب في سائر الأقاليم المصرية وغيرها، وفي القاهرة ذاتها، ولمكانته الهامة يتلقب بالشيخ الأجل، يضاف إلى ذلك أنه جعل لداعي الدعاة مجلسا من الرؤساء يعرفون بالنقباء، ويتكون من اثني عشر نقيبا

(١) جوهر بن عبد الله الرومي، أبو الحسن:المعروف بجوهر الصقلي القائد، باني مدينة القاهرة، والجامع الأزهر، كان من موالي المعز العبيدي أرسله إليها بعد موت كافور الاخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨ هـ وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها، ومكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولاه المعز سنة ٣٦٢ هـ، فحلّ المعز محله، وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي، بالقاهرة، وكان بناؤه القاهرة سنة ٣٥٨هـ، وسماها: المنصورية ولما قدم المعز سماها: القاهرة، وقد فرغ من بناء الأزهر سنة ٣٦١ هـ. القلعي، محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، القاهرة: دار الصحوة، ص٨٤ وما بعدها؛ الكندي، محمد بن يوسف: الولاة وكتاب القضاة للكندي، تحقيق: محمد حسن محمد، وأحمد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢١٥؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، ج٤، ص٢٦؛ الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٤٨.

(٢) إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد البعلاوي، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط١، ١٩٨٥م، ص ٦٩١

(٣) عبد اللطيف حمزة: الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ٢٠٠٠، ص ٢٢.

وحجة ... ومع ذلك لم يكن هؤلاء الدعاة والنقباء هيئة كهنوتية، وإنما جماعة من الموظفين استخدمتهم الدولة العبيدية، لتعريف الناس بمذهبها.

ويدل على مدى الاهتمام بالدعوة، أننا سمعنا عن دعاة في جميع جميع أنحاء البلاد المصرية، حتى في القلزم[١] على البحر الأحمر، أما في خارج مصر فكان ميدان نشاط الدعاة واسع المدى، ينقسم إلى أقاليم، تسمي جزائر- جمع جزيرة - تشتمل على أملاك العبيديين، وبلاد الأعداء في المذهب، وفي بلاد خارج دار الإسلام، ولدينا أسماء هذه الجزائر أو الأقاليم، التي يبلغ عددها هي الأخرى اثنا عشر، تبدو موزعة على أساس جغرافي أو جنسي، وهي: العرب، والترك والبربر، والزنج، والحبشة، والخزر[٢]، والصين، والديلم[٣]، والروم، والهند والسند، والصقالبة، فكان على رأس الجزيرة الحجة وجمعها الحجج أو صاحب الجزيرة، يتبعه ثلاثون داعياً على مثال الشهر، وهم أكابر الدعاة، ولكل منهم أربعة وعشرون داعياً مأذوناً، على عدد ساعات الليل والنهار، وهؤلاء يتصلون بالمستجيبين أي الأتباع[٤].

وهكذا نرى كيف كانت الدعاية السياسية للدولة العبيدية بناءاً قوياً ومنظماً، صحيح أن الأمر اختلف بعض الشيء مع الضعف الذي ساد الدولة العبيدية،

---

(١) لقلزم : هي مدينة تقع على رأس الخليج وتعرف حاليا بمدينة السويس المصرية وعلى إسمها أطلق بحر القلزم على البحر الأحمر حاليا لمزيد من التفاصيل راجع (ياقوت الحموي: معجم البلدان ، جـ ٤ ص ٣٨٧ -٣٨٨.

(٢) لخزر : موضع بالقرب من بلخ وقال أبو يوسف موضع بالقرب من نسف في بلاد ما وراء النهر لمزيد من التفاصيل أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٢ ص ٣٦٤

(٣) الديلم : لفظ فارسي وهي منطقة من مناطق أصبهان لمزيد من التفاصيل أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢- ص ٥٤٤

(٤) الغزالي، أبو حامد محمد: فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، د.ت، ص٤٢؛ عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي، القاهرة: ١٩٩٤م، دار الفكر العربي، ط٤، ص ٢٧٤،٢٧٥.

لكن تلك الدعوة التي استمرت لأعوام في شتى بقاع العالم الإسلامي حتى تلك الأماكن التي لم تسيطر عليها الدولة العبيدية، أنجزت مهمتها واستقطبت الكثير من الأنصار والمدافعين عنها، ناهيك عن استمرار وجود الجهاز الدعائي لها حتى تولى صلاح الدين الوزارة لما يسمى بالخليفة العبيدي العاضد (٥٥٥هـ-١١٦٠م/٥٦٧هـ-١١٧١م)، وها هو في خطاب تكليفه بالوزارة يوصيه بهم ويقول: "وأما القضاة والدعاة فهم بين كفالتك وهديك، والتصريف على أمرك ونهيك، فاستعمل منهم من أحسن عملاً" (١).

هنا تحققت الظروف المناسبة لصلاح الدين لإقامة دولته، فقد تيقن صلاح الدين من أهمية الأمر، وهو الذي كان له خبرة في جيش نور الدين ويدرك كيف يواجه الدعاية العبيدية والهادفة إلى نشر التشيع وما يلحق به من خزعبلات شتى، والقضاء على المذهب السني وخلافته العباسية، وهو الأمر الذي سيهدد وجوده وإمكانية تثبيت دولته؛ لذا سنجده يبادر هو ويضع الخطط للقضاء على الدولة العبيدية، إذ جعل عمادها رؤية دعائية قوية تقوض أركانها، وتعيد للعالم الإسلامي منهجه السني الوسطي المعتدل.

❁❁❁❁❁

(١) مجموعة الوثائق الفاطمية: تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٥٢.

المبحث الثاني

صلاح الدين والرؤية الدعائية لدولته

نجح صلاح الدين في تأسيس دولته وبدأ في ترسيخ دعائمها من خلال الدعاية المضادة لمواجهة الفكر العبيدي الذي انتشر في مصر ، واعتمد على مبدأ مواجهة الفكر بالفكر فكرس جهوده لدعم علماء السنة للقضاء على الأفكار المخالفه للسنة التي انتشرت بسبب الفكر العبيدي والدعاية سابقة الذكر، ولذلك اعتمد في دعايته على مجموعة من الاركان قامت على نشر صورة السلطان العادل الذي يبحث في مظالم الرعية، وقد نجح في ذلك بشكل واضح.

أيضا قام بربط ملكه بالخلافة العباسية حتى يكون حكمه تحت غطاء الخلافة ، وأيضا لإعلان عودة المناطق التي حكمها العبيديين للخلافة السنية التي مازالت قائمة رغم ضعفها، وبالإضافة لذلك رفع من شأن العلماء والفقهاء واعتمد عليهم بشكل كبير في نشر دعايته والقضاء على ما قام به العبيديون من افساد للفكر والعقيدة .

ولتحقيق هدفه فقد كان بحاجة لمؤسسات تساعده في نشر دعايته والقضاء على الفكر العبيدي لذلك توسع في إنشاء المدارس والمساجد واتخذها قاعدة لنشر دعايته ومحاربة الأفكار الخاطئة في العقيدة ، وكان أبرز ما قام به تحويل الجامع الأزهر لتدرس المذاهب السنية بعد أن كان في الأساس مؤسسة دعائية للدولة العبيدية.

المطلب الأول

رؤية صلاح الدين الدعائية والنهوض بدولته:

ورغم نجاح صلاح الدين في تأسيس دعائم دولته السياسية والقضاء على الدولة العبيدية سياسيا وعسكريا وإحكام سيطرته عليها ،إلا أنه مازال تابعا لنور الدين لذلك لم يسع لمواجهته ، وبسبب خشيته من نور الدين قام صلاح الدين بجمع الأمراء وحضر والده، فاستشارهم في أمر نور الدين، فأشار عليه كل واحد منهم برأي، فاجتمعت كلمتهم على قتال نور الدين، ومنعه من دخول مصر، هكذا حينما يكون المستشار ضيّق الأفق، يعتمد الغطرسة والقوة لا الحنكة السياسية، لكن والده نجم الدين كان له رأي آخر، وهنا تحضر المشورة الحقَّة وهي بداية تثبيت الجبهة الداخلية، حيث قال: هذا ليس برأي صواب، بل الرأي أن تبذل الطاعة والانقياد لنور الدين وترضيه بأي طريق كان؛ لأنني أبوك وهذا خالك شهاب الدين، ونحن أكثر محبة لك من جميع من ترى، ووالله لو رأيت أنا وخالك لم نمكث أن نقبِّل الأرض بين يديه، ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا، وإذا كنا هكذا فما ظنك بغيرنا، ولا يقدر أحد من هؤلاء الأمراء على الثبات على سروجهم بعد أن رأوا نور الدين، فالبلاد له ونحن عبيده ومماليكه ونوابه فيها، فإن أراد عزلك سمعنا وأطعنا، فالرأي أن تكتب إليه بنجاب [١]، وتقول فيه: بلغني أنك تريد الحركة لأهل البلاد، فأي حاجة إلى هذا، يرسل المولى نجَّاباً يضع المنديل في رقبتي، ويأخذني إليك، فما ههنا من يمتنع عليك، وفرَّق المجلس على هذا الكلام، فلما خلا به أيوب قال له: بأي عقل فعلت هذا؟! أما علمت أن نور الدين إذا سمع امتناعنا جعلنا أهم الأمور وحينئذ لا نقوى به، وأما الآن إذا بلغه ما جرى تركنا، واشتغل بغيرنا

(١) "النجاب": هو حامل الخبر من رسول أو مبعوث وغيرة. نجم، زين العابدين بن شمس الدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة: الزهراء، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٥٢٤.

والأقدار تعمل عملها، ففعل صلاح الدين ما أشار به والده، فرضي منه نور الدين، فاشتغل بغيره على ما قال به والده أيوب[١]، على أن صلاح الدين استمر في تعامله الدبلوماسي حتى بعد وفاة نور الدين مع وريثه ابنه صغير السن الصالح إسماعيل، وذلك عند دخوله دمشق حيث قال: أنا مملوك الملك الصالح، وما جئت إلا لأنصره وأخدمه، وأعيد البلاد التي أخذت منه إليه [٢].

لم يكن على صلاح الدين مهمة مواجهة الدعاية العبيدية من أجل تثبيت دولته فحسب، بل كان عليه وضع خططاً استراتيجية محكمة؛ للنهوض بالعالم الإسلامي من جديد ومواجهة تحديات جسام.

وكما يقول الأصفهاني جاء صلاح الدين و"الإسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا، وأهرق شبابه واستشن أديمه، وقد عاد غريباً كما بدأ غريبا، وقد أطلع شرف الستمائة وهي للملك المعترك، وكثرت معاثره بما نصب الشرك من الشرك، وأخلق الجديدان ثوبه وكان القشيب، وذوي غصنه وكان الرطيب، ونصلت كفه وكانت الخضيب، وطال الأمد على القلوب فقست ورانت الفتن على البصائر فطمست، وعرض هذا الأدنى قد أعمى وأصم حبه، ومتاع هذه الحياة القليل قد شغل عن الحظ الجزيل في الآخرة كسبه، والكفار قد خشنت عرائكهم، واتسعت ممالكهم، واستبصروا في الضلال، واستبضعوا للقتال، وخرجوا من ديارهم يخطبون غاشية الموت، ونفروا من وراء البحر يطلبون

(١) ابن شداد، يوسف بن رافع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٧؛ أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق، إبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٢٨؛ ابن واصل، محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م، ج١، ص٢٢٢.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٩، ص٤٠٦.

أمامهم من البر ناشية الصوت، وقاتلوا جنداً ورعية، واستباحوا الأنفس متورعين، فلا ترى أعجب من أن ترى استباحة رعية، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، وأمدهم في طغيانهم يعمهون ... ومضت ملوك الإسلام ومضت أيامهم كالبارق وإن لم يخلع الأظلام، وزارت أيامهم الأيام خيالاً، فتنازع الناس طرائف الأحلام، وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم وكانوا محاربين كمسالمين" (١).

لذا فكان على صلاح الدين أن يعد العدة، وقد كان في الحقيقة "يملك رؤية وفلسفة استوحاها من مقتضيات عصره دفعته إلى أن يخوض مشروع التحدي على طريق الجهاد بعد أن أسس الدولة على دعائم ثلاث: ولاء الرعية، والانتماء إلى الخلافة السنية، ثم الجهاد الذي كرَّس كل حياته من أجله"(٢)، ولينفذ ذلك كان عليه وضع الأدوات التي من خلالها يمكن أن يضمن ولاء الرعية ويجعلها تقف بجانبه، ويقبل عن طيب خاطر أن يبذل كل التضحيات في سبيل هدف سام يؤمن به.

❁❁❁❁❁

(١) الأصفهاني، محمد بن محمد: الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، ٢٠٠٤م، ص ٣٨-٣٧.

(٢) محمد أحمد محمد: الدولة عند صلاح الدين أصولها دعائمها، تونس، ١٩٩٤م، المجلة العربية للثقافة، مجلد ١٤، عدد ٢٦، ص ١٠٥.

المطلب الثاني

صلاح الدين وأركان الدعاية لدولته

كل هذا لم يكن من الممكن أن يتحقق دون أن يقود الناصر صلاح الدين . رحمه الله . رؤية دعائية تغرس في الناس تلك المبادئ والأفكار، وتثق في القيادة التي ستغير أحوال العالم الإسلامي من السوء التي وصلت إليه في أواخر الدولة العبيدية إلى سمو العزة والشرف بناءً للإنسان وعمارةً للأوطان.

الفرع الأول

صورة السلطان العادل المجاهد

لقد تسلَّح القائد الناصر صلاح الدين . رحمه الله . بسلاح العلم والتعليم، واختيار نخبة من أهل العلم والفضل؛ لإحياء مجالسه بما يبني دولته وفق ركائز ثابتة، وحينما تقوم دولة على أنقاض دولة أخرى كانت قد أهلكت رعيتها بالجهل والتخلف والخرافات، وقضت على مقومات الأرض باسم الولاء لعقيدة ومبادئ فاسدة، وفوضى سياسية عارمة، حتما ستكون هذه الظروف عاملاً رئيساً للتهيئة للدولة الجديدة برؤيتها المحكمة.

لقد بدأ صلاح الدين أولى خطوات في رؤيته الدعائية في القضاء على العبيديين وخليفتهم؛ بوضع صورة مغايرة عن الحاكم التي اعتادها الناس في سياسة الدولة العبيدية السيئة، خاصة وقد أثقلت الضرائب كاهل الرعية، وتعددت صور الفساد في أنحاء البلاد، وتمكن الكثير من المتنفذين من نهب أرزاقهم، وعمت المظالم بما أذن بالخراب، ولم يستطع القضاء إقامة العدل بين الناس، وكل هذا وما يسمى بالخليفة العبيدي محتجب في قصره يلهو بملذاته دون اكتراث بما يحدث للناس وأحوالهم المتردية، وتقاعس مؤسسات الدولة عن خدمتهم، وهذا ديدن مؤذن بنهايات الدول، وتلك كانت أولى الدعايات المضادة للعبيديين، إذ لم يكونوا وعلى رأسهم الحاكم العبيدي يحظون بمشاعر طيبة لدى الكثير من الناس، بعكس صلاح الدين، إذ إنه عندما ولي "ساس الرعية وأظهر لهم من العدل ما لم يعلموه، فاجتمع أهل البلاد على كره العبيدي، ونسيان حكمهم التعيس، فأوقع بهم، وأخرجهم من القاهرة بحزم وقوة، وأنهى المتصرف بدولتهم وشتت شملهم"(١).

ولكي يتحقق نجاح خطط صلاح الدين في ذلك الأمر كان عليه تنفيذ سياسة الإحلال، وذلك بإحلال نظامه ومبادئه ورجاله مكان أجهزة الدولة العبيدية الواهنة المتهالكة التي ركنت إلى الظلم والاستبداد وتجاهل

(١) أبو شامة المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢، ص ١٢٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص٢٢٢.

مطالب الناس في العدالة منذ تأسيسها، فسارع إلى استقطاب عناصر تستطيع أن تحقق رؤيته في إعادة الثقة للناس في الحاكم وجهاز دولته، وخلق صورة ذهنية تتمتع بالكثير من الإيجابية.

وهكذا لم تتم عملية تصفية الدولة العبيدية والقضاء عليها إلا بفضل من الله ثم رؤيته المحكمة، والتي عمد صلاح الدين والمخلصين معه إلى تنفيذها ضد النظام العبيدي المتهالك، ففي البداية عمل صلاح الدين على تقوية مكانته، فاستقدم والده وإخوته ليلحقوا به في مصر، وأدخل تغييرات كبيرة على نظام الجيش في أعقاب فشل مؤامرة مؤتمن الخلافة [١]،حيث تخلص من قادة العبيديين وجعل من رجاله وأنصاره بديلاً، كما ضمن السيطرة على موارد الدولة بتولية والده أمر الخزائن كلها في (٢٥) رجب سنة (٥٦٥هـ)[٢]؛ ليضمن حسن استخدامها لصالح الشعب، ودون إهدار، وليقطع المؤنة على مناوئيه" هذا كله وهو وزير تابع للقوم ... والناس يهرعون إليه من كل صوب، ويفدون عليه من كل جانب، وهو لا يخيب قاصداً، ولا يعدم وافداً " [٣]، وهو ما رسخ في نفوس الناس صورة الحاكم العادل، ويثلج صدورهم بمنهج إسلامي طالما حجبوا عنه ببدع وخرافات رجالات الدولة العبيدية ودعاتها.

---

(١) خصي: يدعى مؤتمن الْخلَافَة متحكم فِي الْقصر العبيدي، يقال بأن اسمه جوهر وهو من أكابر خدام القصر، ومقدم السود. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٥؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص٨٢؛ أبو شامة المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢، ص١٣٠؛ ابن واصل: الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص٢٠٢؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ط١، د.ت، ج٣، ص٤٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٣، ص٣٠٧، ٣١١.

(٢) أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية ف ي مصر تفسير جديد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٠٣.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٨١.

ولتكتمل تلك الصورة حرص صلاح الدين على حضور مجالس العلم رغم انشغالاته الكثيرة بأمور الحكم في فترة من أصعب الفترات التي مرت على العالم الإسلامي، "وليس غريباً عليه أن يصدر عنه هذا الاهتمام إذا عرفنا أنه كان فقيهاً في المذهب الشافعي، "فكان يحفظ القرآن، وكتاب التنبيه في الفقه الشافعي"[١].

وهذا كله لم يمنعه من الجهاد والخروج في مقاتلة أعداء المسلمين من الصليبين وانتزاع النصر منهم مراراً، "وهو الأمر الذي جعل من صلاح الدين في نظر المسلمين "جامع كلمة الإيمان، قامع عبدة الصلبان، رافع علم العدل والإحسان، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، منقذ بيت المقدس من أيدي المشركين، خادم الحرمين الشريفين"[٢].

إن الصورة التي كونها صلاح الدين كانت حقيقية وواقعية لذلك صدقها الناس وآمنوا بها، فقد رأوا بأم أعينهم تغير الأحوال على يديه، وكيف عم العدل، وقويت شوكة الإسلام واستطاع إعادة أراضي المسلمين من مغتصبيها، وهو الأمر الذي دفعهم أن يتحملوا كل تبعات هذه المواجهة العصيبة، ويدافعوا بأنفسهم وأموالهم عن تلك الدولة التي حققت ما تمنوه، وأمامهم صورة الحاكم العادل المجاهد صلاح الدين.

❁❁❁❁❁

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١١٨؛ سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق مجموعة من المحققين، دمشق: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣م، ج٢٢، ص١٨؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر ،ط١، ١٩٩٤م، ج٧، ص١٣٩؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، الرياض: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، ج٧، ص٣٤٠؛ ابن العماد، عبدالحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٤. ص٢٩٨.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٢٦.

الفرع الثاني

الارتباط بالخلافة العباسية

قامت الخلافة العبيدية منذ البداية على هدف إحلال المذهب الشيعي الشيعي محل المذهب السني بكافة السبل، والقضاء نهائياً على الخلافة الخلافة السنية، ولما كان اتباع الحاكم للخلافة أمر حتمي حث عليه فقهاء فقهاء الإسلام في تلك العصور، كان صلاح الدين يرى أن دولته يجب أن يجب أن تعيد الأمر إلى نصابه وترجع مصر إلى الخلافة السنية أي الخلافة الخلافة العباسية مهما حمل الأمر من مخاطر وتضحيات لعدة أسباب، منها: أسباب، منها: أن تثبيت دولة صلاح الدين السنية لن يستقيم حيال تبعيتها تبعيتها للدولة العبيدية الشيعية، إضافة إلى أنه لا يمكن إلغاء ما يسمى زوراً بالخلافة العبيدية دون وجود بديل شرعي لحكم صلاح الدين للبلاد، فالفراغ الناتج عن ذلك سيجعل العامة بين أمرين: إما مشككين في شرعية حكمه، أو منحازين للدولة العبيدية، وهو الأمر الذي من شأنه تهديد مركز دولته الناشئة؛ لذا كانت خطته ليس فقط ربط دولته بشرعية الخلافة العباسية، بل بإعادة موقع الإسلام السنّي"[(١)] كهدف رئيس يعطي لدولته شرعية وحصانة عقدية، ويجعل إطارها الفكري حاملاً لمبادئ قادرة على جذب المؤيدين لها والمدافعين عنها ضد سياسة الدولة الشيعية ومذهبها، لذا نجد العلماء والفقهاء يهيئون النفوس ويغزون الأذهان ويفتحون البلاد فتحاً مذهبياً لإحلال المذهب السني محل المذهب الشيعي [(٢)].

ففي أواخر عام (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) بدأ صلاح الدين باتخاذ خطوات حاسمة ضد المؤسسة العبيدية؛ لإضعاف المذهب الإسماعيلي وتقوية المذهب

(١) ملكوم ليونز: صلاح الدين، ترجمة علي ماضي، بيروت: ١٩٨٨م، الأهلية للنشر والتوزيع، ص ٦١.

(٢) نعمان الطيب سليمان: منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٩٩١م، ص٤٢٨.

السني في مصر[١]، وفق خطة جعلت دولته رافعة لراية أهل السنَّة وجاذبة لكل المسلمين الذين انتظروا هذا الأمر طويلاً، فقام بعزل جميع القضاة الشيعة من مناصبهم واستبدلهم بقضاة سُنَّة من أتباع المذهب الشافعي[٢]، كما شرَّد الدعاة وألغى مجالس دعوتهم، وأحبط أصول المذهب الشيعي ومبادئه مثل: الآذان "بحي على خير العمل" بدلاً من الآذان "بحي على الفلاح" وأزال من على العملة والطراز العبارات الشيعية مثل "علي ولي الله"، ومنع صلاة الجمع بالجامع الأزهر"[٣] وفي نفس الوقت يغرس في أهل البلاد العلم والفقه والتصوف والدين[٤].

وهكذا اشتهر مذهب الشافعية واندثر مذهب الإسماعيلية بالكلية وانمحى أثره، ولم يبق أحد من أهل البلاد يمكنه التظاهر به كما ذكر المؤرخ ابن واصل[٥]، وتدلنا هذه العبارة الأخيرة على مدى أهمية الخطوات التي قام بها صلاح الدين في حرص وحذر تمهيداً؛ لتحقيق رغبة الخليفة العباسي، ونور الدين بقطع الخطبة عن العاضد آخر الخلفاء العبيديين، ولما تم لصلاح الدين إضعاف جانب الخلافة العبيدية لم يتردد في إلغائها في مصر وذلك في أول جمعة من المحرم سنة (٥٦٧ هـ/ العاشر من سبتمبر ١١٧١م)، وأعاد الخطبة من جديد للخلافة العباسية وللخليفة المستضيء بنور الله الذي كان قد تولى بعد أبيه

(١) أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ص ٣٠٣.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ج٣ ص ١١٢.

(٣) أحمد عبد الرازق أحمد: تاريخ وأثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩م، ص ٢٠١-٢٠٠.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٨١.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص١٩٨.

المستنجد بالله في سنة (٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م)، بعد انقطاع دام حوالي قرنين من الزمان [١].

تلك الخطوات الجريئة جعلت من صلاح الدين الأيوبي الزعيم السني السني الذي أعاد الحياة للخلافة العباسية، لذلك "عمل صلاح الدين على تقوية على تقوية روابط دولته بالخلافة العباسية ببغداد، وبهذا ازدادت العلاقة بينه العلاقة بينه وبين الخلافة العباسية رسوخاً وثباتاً بحيث فاقت بكثير ما كان كان هناك بين سيده نور الدين محمود زنكي والخلافة العباسية ... كان لابد كان لابد لصلاح الدين من دعامة يرتكز إليها حكمة وتضفي عليه وعلى وعلى دولته الشرعية، وليس هناك أفضل من رضى الخليفة العباسي عنه عنه وتأييده له ومباركته خطواته،"[٢] فكانت هذه المظلة القوية . الخلافة العباسية . من أهم الدعامات الدعائية لصلاح الدين في تثبيت دولته، لما لها في نفوس المسلمين من واجب شرعي، وهو لا يعدو أن يكن عملاً تنظيمياً سياسياً، المقصد منه استجلاب القلوب نحو الكيانات السياسية الجديدة.

❁❁❁❁❁

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٦٤؛ ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٨٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص٢٠٠؛ أحمد عبد الرازق أحمد: تاريخ وأثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، ص ٢٠١-٢٠٠.

(٢) محمد اسكندراني: المدرسة والدولة في العصرين الفاطمي والأيوبي، بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، عدد ٤، ١٩٨٩م، ج١، ص ١٥٤.

الفرع الثالث

الرفع من شأن الفقهاء والاستعانة بهم

إذا كانت الأيديولوجية العبيدية تتبنى أفضلية سياسية لما يسمى بالخلفاء العبيديين، فإن الرعية قد تأكدوا على مدار سنوات من سوء الأحوال السياسية وكذب وافتراء تلك الأيديولوجية، وكان يتوجب على صلاح الدين أن يقدم بديلاً عنها، وبصيغة عملية أكد صلاح الدين أن حسن إدارة الدولة عند المسلمين يتوقف على كفاءة من هم في سدة الحكم ومساعديهم من المستشارين وغيرهم، ناهيك عن أن الفقهاء كانوا لسان الدولة وصوتها الذي استطاع بكفاءة عالية أن ينشر بين الناس أفكار الدولة الناشئة وضرورة مساندتها في جهادها في الداخل والخارج، والاقتناع العميق بهذا الأمر، فكانوا بحق أهم جهاز دعائي لصلاح الدين، خاصة وأن المعنيين ببناء الدولة من رجالاتها يعمدون إلى الشمولية في تحقيق العدالة وتلبية الحقوق للعامة لا على سبيل التسلط والاحتكار والاقطاعية.

وقد قام الفقهاء بأدوار كبيرة في تثبيت دولة صلاح الدين، ففي بداية تسلم صلاح الدين للوزارة من قبل الخليفة العبيدي العاضد (ت: ٥٦٧هـ/١١٧١م)، أدّى الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه عيسى الهكّاري [١] دوراً كبيراً في إقناع كبار الأمراء المعارضين لتولية صلاح الدين، أن يدخلوا في طاعته، وكان لهذا

(١) الفقيه أبو محمد ضياء الدين عيسى الْهَكَّارِيُّ، يقال: بأنه ينتسب للحسن بن علي . ﷺ، من أَعيان أمراء عسكر صلاح الدين، ومن قدماء الأسدية، كان فقيهًا، جنديًّا، شجاعًا، كريمًا، ذا عصبية ومروءة، اتصل بأسد الدين شيركوه، فصار إمامًا له، فرأى من شجاعته ما جعل له إقطاعًا، وتقدم عند صلاح الدين تقدمًا عظيمًا، توفي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٧٧؛ ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص١٧٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص٤٩٧.

الدور الأثر الكبير في تثبيت قدم صلاح الدين في الحكم، [١] كما كان للفقيه زين الدين بن النجا [٢] أيضاً دور مهم في ترسيخ ملك صلاح الدين في مصر، حيث يعود الفضل إليه في كشف المؤامرة الكبيرة التي تزعّمها مجموعة منهم عمارة اليمني [٣] (ت:٥٦٩هـ/ ١١٧م)، والتي استهدفت القضاء على دولة صلاح الدين في مهدها [٤].

ولشدة ثقة صلاح الدين بالفقهاء، كان يتخير رسله ومبعوثيه إلى الخلفاء العباسيين والملوك والأمراء من الفقهاء، ممن اشتهر بسعة العلم، وحصافة الرأي، فقد قام صلاح الدين بإرسال وفد برئاسة الفقيه شمس الدين بن أبي

(١) أبو شامة المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق٢، ص ٤٠٧.

(٢) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري، الملقب زين الدين الحنبلي، المعروف بابن نجية، الواعظ المشهور، توفي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م. أبو شامة المقدسي: تراجم رجال القرنين السادس والسابع" الذيل على الروضتين"، ص٣٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص٥٢٧، ٥٣٠.؛ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد: ذيل طبقات الحنابلة، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج١، ص٤٣٦.

(٣) عمارة بن علي بن ريدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين: مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، له تصانيف، من أهل اليمن، ولد في تهامة، ورحل إلى زبيد سنة ٥٣١هـ، وقدم مصر سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، ولما سقطت الدولة العبيدية، اتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م. البنداري، الفتح بن علي: سنا البرق الشامي، القسم الأول، تحقيق: رمضان ششن، بيروت: دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧١م، ص١٤٧ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص٤٣١؛ الخزرجي، علي بن الحسن: العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن، تحقيق عبدالله العبَّادي وآخرون، صنعاء: الجيل الجديد، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٣، ص١٥٤٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص٢٤٦.

(٤) الأصفهاني، عماد الدين محمد: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٤٠٢؛ ابن واصل، محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص ٢٤٣.

المضاء [١] إلى الخليفة العباسي المستضيء بنور الله (ت: ٥٧٥هـ/١١٨٠م)، وحمَّله رسالة تتضمن إعلام الخليفة العبّاسي بعودة الخطبة باسمه في مصر، وفيها أيضاً يلتمس من الخليفة أن يُقلده البلاد التي يحكمها وكل ما يفتحه من بلاد[٢].

كذلك فقد أحسن صلاح الدين صنعاً حينما أحاط نفسه بعدد من العلماء الذين ملأوا المجال العام بكتاباتهم ورسائلهم، وقد برز هنا دور هام للقاضي الفاضل[٣]، وهو الذي كان له أكبر الأثر في الدعاية لصلاح الدين وأعماله،

---

(١) محمد بن المحسن بن الحسين بن أبي المضاء الخطيب شمس الدين أبو عبد الله البعلبكي ثم المصري، نشأ بمصر وقرأ بها الأدب، وسمع بدمشق من الحافظ ابن عساكر، وغيره. ورحل إلى بغداد وسمع بها وقرأ الفقه. وعاد إلى مصر، واتصل بالسلطان صلاح الدين. وهو أول من خطب بمصر لبني العباس، ثم نفذه السلطان رسولا إلى الديوان، وسمع ببغداد من أبي زرعة، وابن البطي توفى بدمشق سنة ٥٧٢ هـ، ولم يكمل أربعين سنة. الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق، بشار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، ج١٢، ص٥١٦؛ الصفدي، صلاح الدين خليل: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٤، ص٢٧٦.

(٢) ابن واصل، محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، ص٢٠.

(٣) عبد الرحيم بن علي بن السعيد البيساني اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل، ولد بعسقلان، كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن رفعة منزلته كان السلطان صلاح الدين يقول: لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل، وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل، توفي في القاهرة سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م. عمارة اليمني: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٢١٨، ٢٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٦٩؛ أبو شامة المقدسي: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف "بالذيل على الروضتين"، ص١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص١٥٨؛ الدواداري: الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، ج٧، ص١٤٢؛ السبكي، عبدالوهاب بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، بيروت: دار المعرفة، ط١، د.ت، ج٣، ص٢٥٨؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج٢، ص١٨٤؛ شكيل، هادية دجاني: القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني دوره=

حتى أن صلاح الدين يذكر المقولة الشهيرة " لا تظنوا أني فتحت البلاد بالسيوف، إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل"(١).

ويقول أبو شامة في استشارة صلاح الدين الدائمة للقاضي الفاضل(٢): " وكان لا يأتي أمراً إلا من بابه" (٣).

هذا بالإضافة إلى الرسائل التي خطها القاضي الفاضل وكان لها أثر كبير، ليس في مضمونها فحسب، وإنما في نظرة مؤرخي تلك الحقبة لقيمتها والقدرة الكبيرة لدى صاحبها على صياغتها، علاوة على الدور الدعائي الكبير الذي قدمته في الترويج لسياسة صلاح الدين وأعماله بين رعاياه، فأوضح الأصفهاني أن للرسائل ذات الرصانة اللغوية والبلاغية التي تحمل أخبار الانتصارات والحروب والمرسلة للبشارة بالانتصارات وقع قوي في نفوس الرعايا وبخاصة حينما تقرأ على منابر المساجد.

وأكد القاضي الفاضل في إحدى رسائله مدى أهمية الرسائل التي خطها هو وغيره بوصفها واحدة من أهم وسائل الدعاية التي نشرت أعمال صلاح الدين بين رعاياه، وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص، ولا بما سوى المشافهة تتلخص، فلذلك نفذنا لساناً شارحاً ومبشراً صادحاً ينشر الخبر على سياقته ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته، وفي ذلك ذكاء من القاضي الفاضل بحيث استغل بشارة النصر؛ للدعاية لصلاح الدين

=التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٣م، ي٣٩؛ نصر، سوسن محمد: القاضي الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، القاهرة: دار الزهراء، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١٢١.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن رسائل القاضي الفاضل أنظر معالي عبد السلام الحبشي : رسائل القاضي الفاضل السياسية في عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩ هـ) (١١٦٩ -١١٩٣ م): رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية، غزة ، ٢٠١٣ .

(٣) أبو شامة. الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢. ص ١٢٥.

بالطريقة التي تروق له بعد وقوع سامع الرسالة وبشارتها في أسر أسلوبه، وهذا يعني من جهة أخرى أن رسائل الفاضل كانت بمثابة وسيلة إعلامية سبقت عصر صناعة الإعلام المحترف بقرون طويلة، ولأجل ذلك حرص صلاح الدين على الإكثار من ذلك النوع من الرسائل وإيفادها إلى المدن التابعة له؛ للإعلان عن انتصاراته وأعماله، ونتيجة لذلك حملت رسائله معيناً لا ينضب من المعلومات التي لم يقف غير الفاضل عليها [١].

لذا وبسبب هذا الدور الكبير الذي أولاه صلاح الدين للفقهاء فقد أصبحت دولته في مصر وبلاد الشام محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية، لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أُعطيات ومنح كثيرة، وجعل لهم في كل شهر أربعين ديناراً عن التدريس، وعشرة دنانير عن النظر في أوقاف المدرسة، ورتّب لهم من الخبز في كل يوم ووقف ستين رطلاً، وراويتين من ماء النيل[٢]، وبلغت المرتبات للفقهاء والمدرسين بدمشق في عهده حوالي ثلاثمائة ألف دينار، وكان عددهم حوالي ستمائة مدرس وفقيه [٣]، وقد أدوا المهمة الموكلة لهم على أحسن وجه، فكانوا واجهة الدولة وعمادها، وسترها الذي لم ينكشف، ولسانها وصوتها الصادح بكل قوة وأمانة.

❁❁❁❁❁

(١) حجازي عبد المنعم سليمان: أصداء التخطيط السياسي والعسكري لدى صلاح الدين في رسائل القاضي الفاضل وديوانه، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، عدد٨٣، ٢٠١٠م. ص ٥.

(٢) المقريزي، أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ج٤، ص٢٥٩.

(٣) نعمان الطيب سليمان: منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية. القاهرة، ١٩٩١، ص٤٢٨.

الفرع الرابع

بناء المدارس والمساجد

إذا كان المسجد قد أدى دورًا محورياً في تاريخ المسلمين، فإننا مع فإننا مع عصر صلاح الدين بصفة عامة، وفي عهد دولته بصفة خاصة قد خاصة قد ظهرت مؤسسة على درجة عالية من الأهمية كانت بمثابة الرافعة الرافعة التي اعتمد عليها صلاح الدين في تثقيف دولته وتعليمها وتهيئتها، وتهيئتها، والرفع من المستوى الفكري؛ لتحمل المسؤولية التاريخية الملقاة على الملقاة على عاتقها، وكان يستخدمها لبث روح الحرب والجهاد ضد الصليبيين الصليبيين في نفوس المسلمين، وتهيئة عقولهم، لهذا الواجب المقدس، على أن يكون هو القدوة في مجالسه باختيار المستشارين والجلساء ذوي العقول النيرة[١]، ألا وهو التعليم ممثلاً بالمدارس، بل يمكن القول أن صلاح الدين قد واكب عصره واجتهد في ذلك على أفضل ما يكون".

بينما كانت دار الحكمة وغيرها من المراكز العلمية الهامة تقوم بعملها في العهد العبيدي على هذا النحو إذا بمؤسسة أخرى كانت قد نمت وترعرعت في الأوساط السنية في الشرق الإسلامي، هذه المؤسسة الجديدة هي المدرسة، والمدرسة بناء في وسطه صحن كبير مربع الشكل، وفي كل جانب من الجوانب الأربعة لهذا الصحن إيوان مقبب، ويراعي في بناء المدرسة أن تكون على سمت القبلة، ولكل مدرسة محراب، ومن هنا تخرج المدرسة في الواقع عن كونها مسجداً أو جامعاً، بل أصبح من الصعب التفرقة فيما بعد بين الجامع والمدرسة ... وقد اجتهد السلطان صلاح الدين الأيوبي في بناء المدارس، بناها بمصر وكان قد سبقه إلى بنائها نور الدين محمود بدمشق، والمهم هنا أن إنشاء المدارس والإكثار منها كان جزءا من الخطة التي وضعها

(١) أحمد مختار العبادي: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٥، ص٤٩.

صلاح الدين لإزالة الدولة العبيدية، ولإثارة الشعور الديني ضد الأوروبيين في الحروب الصليبية [١].

والملاحظ في عهد صلاح الدين الأيوبي أن الجامع الأزهر الذي بناه العبيديون؛ ليكون مركزاً لنشر عقائد الشيعة لم يعد يحتل المرتبة الأولى بين مراكز العلم، بل أصبح في المرتبة الثانية من الأهمية[٢]، ويرجع ذلك إلى المدارس الكثيرة التي أحدثها صلاح الدين، ثم إلى نقله خطبة الجمعة من الأزهر إلى الجامع الحاكمي،[٣] ولكي يضمن صلاح الدين الأيوبي دخلاً ثابتاً للمدارس التي يُنشئها، كان يوقف عليها أوقافاً تكفي للإنفاق عليها[٤]، وقد بدأ صلاح الدين في تنفيذ تلك الخطة القاضية بالاعتماد على المدارس في تدعيم دولته في أرجاء البلاد منذ وقت مبكر، فالمدرسة الناصرية قد بناها صلاح الدين في مصر (الفسطاط) سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) في مكان سجن المعونة، وكان في ذلك الوقت وزيراً، وجعل التدريس فيها على المذهب الشافعي[٥]، وقد عرفت بأسماء شتى، منها المدرسة الناصرية (نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين)، ومنها مدرسة ابن زين التجار (نسبة إلى العالم الشافعي الذي طالت مدته بهذه المدرسة، ومنها المدرسة الشريفية وهكذا.

---

(١) عبد اللطيف حمزة: الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ٢٦.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط١٤، ١٤٠٦هـ/١٩٩٦م، ج٤. ص٦٠٤.

(٣) وفاء محمد علي: قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٦. ص٥٦.

(٤) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٦، ص٥٥.

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، ص٥٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، ص٢٠٠؛ النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ص٣٥٠.

كما بني صلاح الدين بالقاهرة المدرسة القمحية (نسبة إلى القمح الذي كانت تحصل عليه من ضيعة تزرعه بجهة الفيوم وقفها صلاح الدين على هذه المدرسة التي عرفت كذلك بدار الغزل) [١]، بناها صلاح الدين أثناء وزارته، وجعل الدراسة فيها على المذهب المالكي [٢].

وبعد موت الخليفة العاضد قالوا: فجلس صلاح الدين للعزاء وبالغ في الحزن والبكاء[٣]، محققاً بذلك الدهاء في الدعاية، وبث رسائل الأمان والطمأنينة لرجالات يخفون في أنفسهم الولاء لكيان على شفا هاوية السقوط، وليجعل منهم أكثر هدوءاً وثقةً به، ولما أزال صلاح الدين الدولة العبيدية، نشط في بناء طائفة أخرى من المدارس ومنها: مدرسة للفقهاء الحنفية هي المدرسة السيوفية [٤]، ومدرسة بجوار الإمام الشافعي، وأخرى بجوار المشهد الحسيني[٥]، أما المدرسة الصلاحية أنشأها صلاح الدين بعد أن انفرد بحكم مصر، بجوار قبر الشافعي بالقرافة، وجعل التدريس فيها على المذهب

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص ٤٨٦.

(٢) عبد اللطيف حمزة: الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، ص٢٤.

(٣) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٤٩.

(٤) "المدرسة السيوفية": هذه المدرسة بالقاهرة، وهي من جملة دار الوزير المأمون البطائجيّ، وقفها السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب على الحنفية، وقرّر في تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتي، ورتب له في كل شهر أحد عشر دينارا، وباقي ريع الوقف يصرفه على ما يراه للطلبة الحنفية المقرّرين عنده على قدر طبقاتهم، وجعل النظر للجبتي، ومن بعده إلى من له النظر في أمور المسلمين، وعرفت بالمدرسة السيوفية، من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، ص٢٠٤.

(٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص ٣٦٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، ص ٣٨٥.

الشافعي [١]، بالإضافة إلى المدرسة الصلاحية في دمشق، وجعل التدريس فيها على المذهب الشافعي أيضاً[٢]، وقد أحصى المؤرخون مجموع المدارس التي بنيت بالقاهرة وضواحيها في العهد الأيوبي فإذا بها خمس وعشرون مدرسة"[٣]. كل تلك المدارس كانت ضمن خطة لصلاح الدين الأيوبي متعددة الأهداف، فمن ناحية هدفت السياسة الأيوبية إلى تلبية حاجة الدولة إلى الموظفين المخلصين لسياستها ولمبادئ مذهبها، فمدارس الأيوبيين عموماً كانت بمثابة مدارس رسمية أسست ووجهت لخدمة الدولة ومنهجها الديني، وقد فرض عليها نوع خاص من المعارف يتم من خلاله إعداد الفرد لقبول سلطة الدولة وقوانينها، وهكذا أمكن تخريج أعداد كبيرة من الطلاب الذين يدينون بمذهب الدولة، كما أمكن تعيين الخريجين بالوظائف الرسمية المعدة لهم كقضاة، وأئمة مساجد ومدرسين وكتبة دواوين وغيرها من الوظائف العامة، وبهذه الطريقة تمكنت الدولة من تحقيق هدفها من إنشاء المدارس، وحصلت على الموظفين الذين يطيعون الأوامر ويطبقون القوانين، سيما وأنه كان من شرط القبول في تلك المدارس أن يكون الطالب والمدرس سنياً، فكانت المدرسة بذلك مدداً لمستقبل المذهب الفقهي الذي يدين به جل بني أيوب، من حيث أنها تستميل إليها طلبة يدينون بذلك المذهب، ومن حيث أنها كانت أداة قوية في تنفيذ خطط الأيوبيين،[٤] وخاصة الدعائية التي كان لها دور كبير في تثبيت دولة الناصر صلاح الدين الأيوبي .

---

(١) عبد اللطيف حمزة: الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، ص ٢٦.

(٢) أبو شامة المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين. ج١، ق٢، ص ٦٨٨.

(٣) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس ٢م، تحقيق جعفر الحسني، دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٤٨، ج١، ص٣٣١.

(٤) عبد اللطيف حمزة: الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، ٢٠٠٠، ص٢٦.

الخاتمة

لا ريب بأن السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ودولته عصر مليء بالأبحاث والدراسات، فقد كان بحق قائداً فذاً، صنع نقطة تحوّل في تاريخ الدولة الإسلامية على الصعيدين الداخلي والخارجي، فقد كانت الظروف مهيأة له حينما أصبح رجل دولة في بداية أمره، متولياً الوزارة في دولة بني عبيد والتي دب فيها الضعف، إذ عمد إلى استخدم أدوات عصره وطوعها لصالحه بأحسن ما يكون دبلوماسياً وسياسياً، واستطاع بكفاءة أن يضع الخطط والاستراتيجيات التي مكنته من إقامة صرح دولة تقف على ركائز راسخة ومقومات الدولة بحق في بناءها الداخلي في نشر مبادئ الإسلام الصحيحة، ورفع من مستوى الوعي التعليمي، والاهتمام بالأمن الداخلي والخارجي وتنميته فكرياً، فأصبح ذا عظمة في الترابط الداخلي وتعزيز الأمان النفسي لرعيته، وصارت متعدية للدفاع عن الكيان الإسلامي وإرثه الديني والسياسي، حينما وقف صامداً أمام العدو الصليبي الأول.

حتماً أن الدعاية السياسية من العوامل التي لم تغب عن ذهنه كما رأينا، بل وضع نصب عينيه الوقوف أمام الدعاية العبيدية، وكذلك صناعة استراتيجية دعائية مضادة خاصة بدولته، لها ركائزها الثابتة ورسالتها القوية الهادفة إلى نشر القيم والسلوك ورفعة الإسلام والمسلمين كمنهاج وجودة حياة في نواحي شمولية في الأقاليم الإسلامية.

لقد كانت صورة الملك الصالح الناصر المجاهد والارتباط بالخلافة العباسية ودعم الفقهاء والاستعانة بهم، وإنشاء المدارس في ربوع دولته، دعائم فاعلة في تقديم دولته الناشئة للمسلمين، ومسوغ ليس في قبولها فقط بل إيماناً بها ودفاعاً عنها، فضلاً عن أن قائدها أخذت سمعته تسمو حتى بلغت الآفاق من حيث المكان والزمان حتى أصبح مثار جدل الأعداء، حتى يومنا الحاضر، كيف أقام دولته؟ وما الظروف التي صاحبت ذلك؟

بنى صلاح الدين دولته على آثار وأنقاض دولة غاوية أغوت رعيتها ردحاً من الزمن، وساعده في ذلك تعطش شعب الدولة الإسلامية الغائبة إلى قائد فذ شجاع ذا حنكة سياسية استفاد من ميادين الوغى.

اتخذ الملك الصالح من ذوي العقول الراسخة في العلم وأرباب الفكر الذين اتصفوا بسعة الأفق رجالاً ومستشارين لحكومته ودولته الذين يعززون من مقوماتها فضلاً عن المحافظة عليها، فلم يكن يركن إلى الغوغاء، ولم يكن يجالس أهل السفاهة، والذين لا يأبهون ولا يعيرون اهتماماً لمصالح الدولة الأمنية ومقوماتها الاستراتيجية، ولا يرعون حضارة أمة.

فطن السلطان صلاح الدين إلى أن الدعاية والإعلام جزء وعامل رئيس في نشأة وإدارة الدولة؛ لذا كان يعتمد أفضل مستشاريه؛ لكتابة الرسائل في تعاملاته الدبلوماسية والسياسية داخلياً وخارجياً، فضلاً عن سياسته الخارجية والحروب.

أثبت الناصر صلاح الدين مدى إيمانه بأن الإعلام هو خيار الدولة والمرتكز لقيامها وإدارتها واستقرارها، وبث الرعب لدى المناوئين له، وذلك يتبين لنا حينما صرح بقوله: " لا تظنوا أني فتحت البلاد بالسيوف، إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل"(١).

❁❁❁❁❁

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦٨.

أولا : مصادر عربية:-

ابن الأثير علي بن أبي (٦٣٠هـ/ ١٢٣٤م)

- الكرم الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

الإدريسي، محمد بن عبد الله (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)

- أنس المهج وروض الفُرَجِ قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، تحقيق، الوافي نوحي، بيروت: دار أبي رقراق، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

الأصفهاني، عماد الدين محمد (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، ٢٠٠٤م.

البنداري، الفتح بن علي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

- سنا البرق الشامي، تحقيق، فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، ط ١٩٧٩م.

البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ/٨٦٩م)

- الصحيح، تحقيق، محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر الأسفراييني (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

- (الفرق بين الفرق)، بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٧٧م.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت.

ابن الجوزي يوسف بن قِزْأُوغلي (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق مجموعة من المحققين، دمشق: دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

- معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.

الخزرجي، علي بن الحسن (٨١٢هـ/١٤١٠م)

- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن، تحقيق عبدالله العبَّادي وآخرون، صنعاء: الجيل الجديد، ط١، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

ابن خلكان، أحمد بن محمد (٦٨١هـ/١٢٨٢م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر،ط١، ١٩٩٤م.

الداوداري ،عبدالله بن أيبك (بعد ٧٣٦هـ/١٤٣٢م)

- الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

الدينوري، أحمد بن داود (٢٨٢هـ/٨٩٥م)

- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، ط١، (١٩٦٠م).

الذهبي محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/ ١٣٣٧م)

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق، بشار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٩٨٥م).

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (٧٩٥هـ/١٣٩٢م)

- ذيل طبقات الحنابلة، بيروت: دار المعرفة ١٤٢٥هـ.

ابن زيدان، عبد الرحمن (ت ١٣٦٥هـ/١٩٥٤م)

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق، علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١ ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

زين العابدين بن شمس الدين نجم

- معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة: الزهراء، ط١،

(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (٧٧١هـ/١٣٦٩م)

- طبقات الشافعية الكبرى، الرياض: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، (١٤١٣هـ).

السمعاني، عبد الكريم بن محمد (٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)

- الأنساب، تحقيق، عبد الرحمن المعلمي وغيره، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).

أبو شامة المقدسي (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق، إبراهيم الزيبق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع "المعروف بالذيل على الروضتين"،: بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٤٧م.

ابن شداد، يوسف بن رافع (٦٣٢هـ/١٢٣٤م)

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الصفدي، صلاح الدين خليل (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الطبري، محمد بن جرير (٤١٠هـ/١٠١٩م)

- تاريخ الرسل والملوك، ، بيروت: دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ.

ابن العماد، عبدالحي بن أحمد (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٦هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد (٥٠٥هـ/ ١١١١م)

- فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الكويت: مؤسسة دار

الكتب الثقافية، د.ت

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (٧٣٢هـ/١٣٣١م)

- المختصر في أخبار البشر، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، ط١، د.ت.

ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم (٨٠٧ هـ/١٤٠٥م)

- تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، الطبعة الأمريكية، ١٩٣٦هـ.

القلعي، محمد بن علي (٦٢٨هـ/١٢٣١م)

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، القاهرة: دار الصحوة ١٤٠١هـ.

الكندي، محمد بن يوسف (ت. بعد ٣٥٥هـ/٩٦٥م)

- الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد، وأحمد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

مجموعة الوثائق الفاطمية

- تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

مجهول (متوفى: ق ٣هـ)

- أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، بيروت: دار الطليعة.

مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

- الصحيح ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت دار إحياء التراث العربي ١٤٠٦هـ.

المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة: ط١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

النعيمي، عبد القادر بن محمد (٩٢٧هـ/١٥٢٠م)

- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٤٨م.

ابن واصل، محمد بن سالم (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب, تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (نحو ٩٥٧هـ/١٥٥٠م)

- وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٣، ٢١٩٨م.

ثانيا المصادر الأجنبية :

Anonymous,

- La Continuation de Guillaume de Tyre, 1184 – 1197, Traduit Par Margret Ruth Morgan, Paris, 1952.

وقد اعتمد الباحث علي الترجمة العربية لهذا المصدر تحت عنوان :مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٢.

Anonymous

- **,**Itinerarium peregrinorum et gesta Regis Ricardi.(ed.) by William Stubbs,Chronicles and Memorials of Rign of Richrad I,R.s.,London,1864.

وقد اعتمد الباحث علي الترجمة العربية لهذا المصدر تحت عنوان: مؤرخ مجهول :الحرب الصليبية الثالثة(صلاح الدين وريتشارد،جزءان ،ترجمة د.حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط١،القاهرة،٢٠٠٠.

Jacque de Vitry,

- The History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart, in: P. P. T. S., Vol. XI, London, 1896.

- وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية لهذا المصدر تحت عنوان: يعقوب الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ترجمة د. سعيد البيشاوي،ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان ١٩٩٨م.

وليم الصوري:

الكتاب منشور باللاتينية في الجزء الأول من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية . المؤرخين الغربيين .

- Historia Rerumin Partibus Transmarinis Gestarum,R.H.C-Occ,I,pp.1-1134

- واعتمد الباحث علي الترجمة العربية للمصدر وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية ، 4أجزاء ، ترجمة د. حسن حبشي ، القاهرة ، 1991-1994م .

ثالثا: المراجع العربية:

آمنة أبو حجر

- موسوعة المدن العربية، عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

إبراهيم إمام

- أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٥م.

إبراهيم مصطفى وآخرون

- المعجم الوسيط، ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت.

أحمد رضا

- معجم متن اللغة، بيروت: دار مكتبة الحياة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

أحمد عبد الرازق أحمد

- تاريخ وأثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩م.

أحمد مختار العبادي

- التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.

أحمد مختار عبد الحميد

- معجم اللغة العربية المعاصرة، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

أيمن فؤاد سيد

- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م.

حجازي عبد المنعم سليمان

- أصداء التخطيط السياسي والعسكري لدى صلاح الدين في رسائل القاضي الفاضل وديوانه، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، عدد٨٣، ٢٠١٠م.

حسن إبراهيم حسن

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط١٤، ١٤٠٦هـ/١٩٩٦م.

حسن ابراهيم حسن، طه أحمد شرف

- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

حسن عبد الوهاب:

- تاريخ اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٠ ، ص ٩٧- ١٠٥.

سوسن محمد

- القاضي الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية: القاهرة: دار الزهراء، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

عارف تامر

- المعز لدين الله الفاطمي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢م.

عاطف عدلي العبد

- الدعاية والإقناع الأسس النظرية والنماذج التطبيقية، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٧م.

عبد اللطيف حمزة

- الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

عبد المنعم ماجد

- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي ، القاهرة: دار الفكر العربي (١٩٩٤م).

عبدالحكيم العفيفي

- موسوعة١٠٠٠مدينة إسلامية ، بيروت: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

علي إبراهيم حسن

- تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣م.

عماد الدين إدريس

- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد البعلاوي، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ط١، ١٩٨٥م.

فائز عبد الله مكيد

- أساليب الادارة المتقدمة للدعاية الاعلامية الدولية، بغداد: مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، ٢٠١٢م.

ماريا برنيري

سلسلة عالم المعرفة ٢٢٥ – المدينة الفاضلة عبر التاريخ، صفحة ١١، ١٢، ١٣.

محمد أحمد محمد

- الدولة عند صلاح الدين أصولها دعائمها، تونس، ١٩٩٤م، المجلة العربية للثقافة، مجلد ١٤، عدد ٢٦، ص ١٠٥.

محمد اسكندراني

- المدرسة والدولة في العصرين الفاطمي والأيوبي، بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، عدد ٤، ١٩٨٩م.

محمد بن سليمان الراجحي

- معجم بلدان العالم الإسلامي في كتاب الأنساب لأبي سعد السمعاني، جمع وتحقيق، الرياض: مطبعة سفير، ط١، ١٤٠٦هـ/ ٢٠٠٥م.

محمد بن عبدالله التجاني

- رحلة التجاني، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.

مرزوق الزهراني

- نسبة ومنسوب، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

معالي عبد السلام الحبشي

- رسائل القاضي الفاضل الساسية في عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤–٥٨٩ هـ) (١١٦٩ –١١٩٣ م) : رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب ، الجامعة الإسلامية ،غزة ، ٢٠١٣ .

ملكوم ليونز

- صلاح الدين، ، ترجمة علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت: ١٩٨٨م.

ممدوح أمين

- سلمية في خمسين قرنا، دمشق: دار أسامة، ١٩٨٣م.

نعمان الطيب سليمان

- منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، القاهرة: مطبعة الحسين الإسلامية، ط١، ١٩٩١م.

هادية دجاني

- القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٣م.

وفاء محمد علي

قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام: القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤١٠٩
الإعلام والفكر في تثبيت دولة الناصر صلاح الدين الأيوبي	٤١٠٩
المبحث الأول: الدعاية السياسية عبر العصور التاريخية	٤١١٣
المطلب الأول: الدعاية السياسية في العصور الوسطى	٤١١٤
المطلب الثاني: الدعاية في العصر العبيدي	٤١١٨
المبحث الثاني: صلاح الدين والرؤية الدعائية لدولته	٤١٢٥
المطلب الأول: رؤية صلاح الدين الدعائية والنهوض بدولته	٤١٢٦
المطلب الثاني: صلاح الدين وأركان الدعاية لدولته	٤١٢٩
الفرع الأول: صورة السلطان العادل المجاهد	٤١٣٠
الفرع الثاني: الارتباط بالخلافة العباسية	٤١٣٣
الفرع الثالث: الرفع من شأن الفقهاء والاستعانة بهم	٤١٣٦
الفرع الرابع: بناء المدارس والمساجد	٤١٤١
الخاتمة	٤١٤٥
فهرس المصادر والمراجع	٤١٤٧
فهرس الموضوعات	٤١٥٧